مجلـة الاقتصاد والتنمية المستدامة
المجلد:05/ العـدد:01 (2022)، ص 937-948
ISSN : 2661-7986 EISSN: 2773-2606

دور العرف في تدبير الأراضي والمياه ببني فقوس –أولاد جرو أنموذجا -

The role of custom in land and water management in Bni Fakous – Aouled Jrou as a model -

لوبنة بنت عبد الوهاب بن بوجمعة ناصر [*1]

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، تازة (المغرب)، Naceur.Author@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/12/10 تاريخ القبول:2022/02/04 تاريخ النشر:2022/03/02

مستخلص:

الواقع أن دور العرف في تدبير الأراضي والمياه، لم ينل قسطا وفيرا من الدراسات التاريخية بالمغرب، فمعظم جوانبه لا تزال غامضة مجهولة، ومرد ذلك راجع لتناوله بصفة عامة. لذا خصصنا هذه الدراسة لتسليط الضوء على دور العرف في تدبير الأراضي والمياه بأولاد جرو، وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي.

من أجل معالجة النزاعات القائمة على استخدام الأراضي والمياه، اعتمدت أولاد جرو نظام العرف في عملية التوزيع والتدبير، إلا أنها عرفت تحولات عميقة ساهمت في تراجع هذا النظام فيما يتعلق بتدبير الأراضي، وذلك في إطار بحث الساكنة عن أشكال جديدة لتدبير مواردها والتكيف مع التحولات التي فرضتها الظروف الراهنة.

الكلمات المفتاحية: عرف؛ تدبير؛ مجال؛ قبيلة.

Abstract :

Indeed, the role of custom in land and water management, has not received a lot of historical studies in Morocco, most of its aspects are still unknown, this is generally referred. This study highlights the role of custom in land and water management in Aouled Jrou. As we relied on our study on the descriptive analytical approach.

In order to address conflicts over land and water, Aouled Jrou has adopted a custom system in the distribution and management process, but it has been experienced profound transformations which have contributed the decline of the system relating to land management, as part of the population's search for new forms of management of its resources and adaptation areas.

Keywords: Custom; Management; Field; Tribe.

* المؤلف المرسل.

مقدمة

إن اهتمام العديد من الباحثين بدراسة المجتمعات البشرية في المغرب، إنصب حول موضوع العرف بصفة عامة، إلا أن دور هذا الأخير في تدبير الأراضي والمياه، لم ينل حيزا كبيرا ضمن هذه الدراسات، مماجعله محل فضول وإثارة وموضوع تساؤل، خاصة فيما يتعلق بمدى صموده في ظل تطور المجتمع وحاجياته. ومن هذا المنطلق، جاء اهتمامنا بدراسة فرقة أولاد جرو بقبيلة بني فقوس والبحث في تاريخها وأعرافها، فهي حقبة أفرزها الواقع الاقتصادي، حيث استقبلت العديد من العائلات في وقت سابق يناهز قرنين من الزمن، فأرضها ملائمة وبإمكانها إعطاء مختلف أنواع الأشجار المثمرة. (محمادي هرنان، النشاط الزراعي بقبيلة البرانس، الحرث: الجهد والبركة، ص 1)

إذا كان مثال الأراضي والمياه بفرقة أولاد جرو من المواضيع الجديدة التي لم يتكفل العديد من الباحثين ببسط تفاصيلها، فإن دراستنا هاته، ستمكننا من متابعة عملية تدبيرها عن كثب. ومن تم نطرح الإشكالية التالية:

كيف يعمل العرف في تدبير الأراضي والمياه عند أولاد جرو؟

هذا الإشكالية الجوهرية تتناسل عبرها مجموعة من الإشكاليات الفرعية، ستكون الإجابة عنها بمثابة قطب الرحى في تحليل ومناقشة هذا الموضوع:

- ✓ ما هو النظام المعتمد في تدبير الأراضي والمياه عند أولاد جرو؟
- ✓ ما هي أهم التحولات التي طرأت على مستوى هذا التدبير؟
- ✓ هل قيدت الأعراف تدبير هذا المجال؟

فرضيات الدراسة

في ضوء الأسئلة الفرعية، صيغت فرضيات الدراسة على النحو التالي:

- ✓ تعتمد أولاد جرو نظام العرف في تدبير الأراضي والمياه؛
- ✓ دخول المكننة، ساهم في اندثار بعض الأعراف بأولاد جرو؛
- ✓ اندثار بعض الأعراف نتج عنه تقليص المساحات المزروعة.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الوصول إلى مجموعة من الأهداف نوجز أهمها فيما يلي:

- ✓ محاولة تقديم نظرة متكاملة حول أولاد جرو عن طريق التعريف بها ودراسة أعرافها؛
- ✓ التعرف على أهم الأعراف المعتمدة في تدبير الأراضي والمياه عند أولاد جرو ؛

- ✓ البحث عن الأسباب الخفية وراء اندثار بعض الأعراف بهذا المجال.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال تناولها لأحد أهم المواضيع، حيث تعد الأعراف من الدراسات التاريخية التي تمس المجتمعات البشرية، فهي ظاهرة ميزت المجتمعات العريقة في تلاحمها وعصبيتها.

منهجية الدراسة

للإجابة على الإشكاليات المطروحة، اعتمدنا مقاربة منهجية يمكن تلخيصها في خطوتين أساسيتين تفرضهما حتمية إنجاز أي دراسة علمية جغرافية:

- ✓ العمل البيبليوغرافي: شمل كافة المراجع وجميع الدراسات السابقة التي بحثت في الموضوع أو مواضيع ذات الصلة؛
- ✓ العمل الميداني: رغم صعوبة هذه المرحلة، إلا أنها العمود الفقري للعديد من الدراسات، فالميدان يغذي أكثر من 50% من المعطيات الواردة في هذا الدراسة، حيث شمل القيام بزيارة ميدانية لفرقة أولاد جرو التي اتخذناها كنموذج فيما يتعلق بتدبير الأراضي والمياه.

كما يجب التنويه هنا، إلى ان المعطيات المستقاة من العمل الميداني، قد فاقت بشكل كبير ما تم جمعه من مختلف المراجع التي تم الاطلاع عليها، حيث من خلالها تمكنا من اكتشاف واستعاب جملة من التفاصيل التي كانت خفية في معاملات الأفراد من جهة، وتأثيرها على المجال من جهة أخرى.

1-الإطار الطبيعي لبني فقوس

تكتسي الظروف الطبيعية أهمية بالغة في مسار التحولات العامة لكل مجتمع، وبني فقوس لن تخرج عن هذا النطاق، لذا سنقوم من خلال هذا المحور بتشخيص هذه الظروف انطلاقا من تحديد: الموقع الجغرافي لبني فقوس وطبيعة المناخ السائد بها.

1-1 الموقع الجغرافي

تنتمي بني فقوس إلى قبيلة البرانس، والتي تعد من أكبر قبائل شمال المغرب مساحة وسكنا، تقع شمال مدينة تازة في جزء من تلال مقدمة الريف، وتحد بكل من قبيلة مكناسة والتسول ومرنيسة وصنهاجة وكزناية. (محمد الوردي، معارك قبيلة البرانس ضد الاحتلال الفرنسي ما بين 1915 و1925، ص 67)

الشكل رقم (1):موقع المجال المدروس

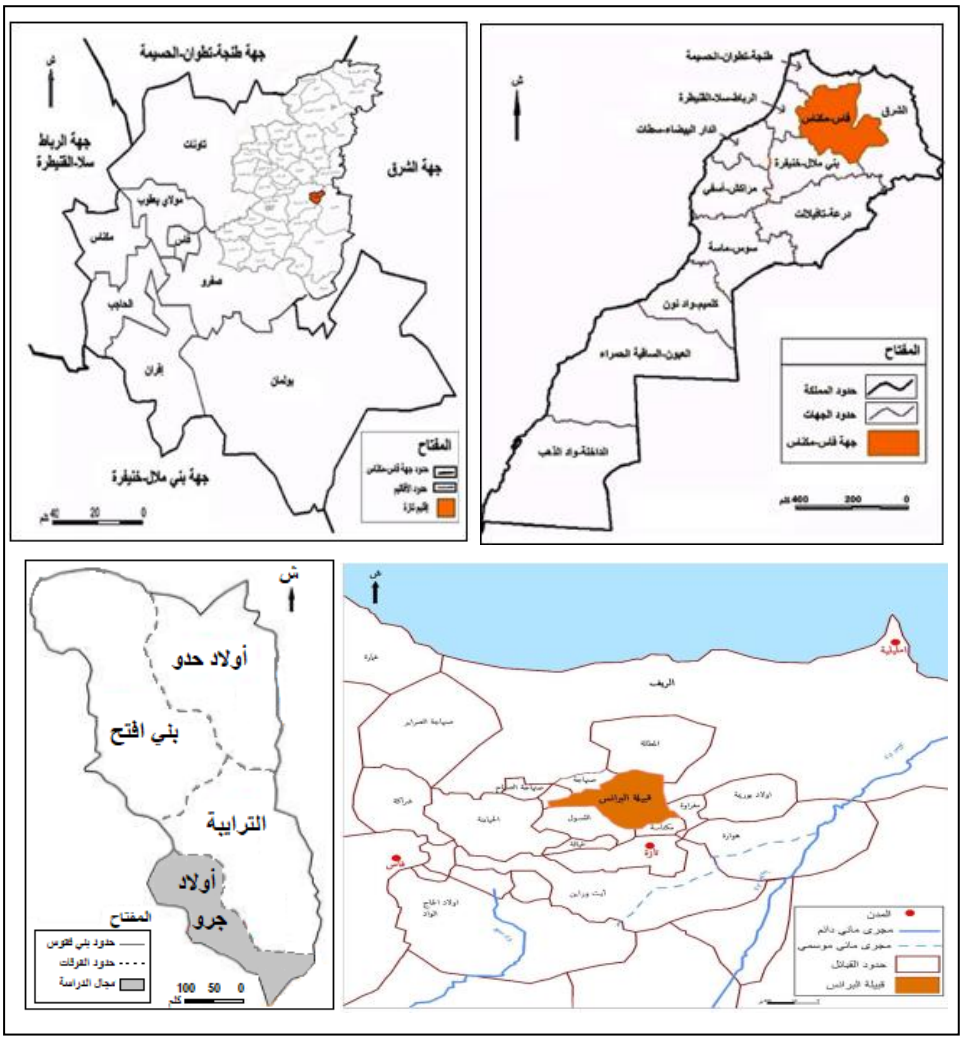

إنجاز: لوبنة ناصر بالاعتماد على (عبد الرحمان المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، ص 29)

تغطي البرانس نحو 1200 كلم مربع، تمتد على الجانبين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي من المجرى العلوي لورغة إلى المجريين العلويين لإيناون وامسون (محمد الوردي، قبيلة البرانس في مواجهة الاحتلال العسكري الفرنسي دور الزعامات في قيادة القبيلة (1912-1926)، ص 28). وهي مزيج من الأصول الأمازيغية والعربية، الموزعة على أربعة أقسام: وربة وبني بويعلى

وبني فقوس والطايفة (محمد الوردي، معارك قبيلة البرانس ضد الاحتلال الفرنسي ما بين 1915 و1925، ص 67-68). وتظم بني فقوس أربع فرق، وهي: بني افتح، الترايبة، أولاد حدو، وأولاد جرو (امحمد العسري، (الأصل)، ألفاظ من قاموس الإنسان والمكان: مقاربة أنطولوجية، ص 4) التي هي موضوع دراستنا.

2-1 المناخ: يتوزع بين فصلين متباينين

تندرج بني فقوس ضمن المناخ السائد في ممر تازة، الذي تلتقي فيه مؤثرات مناخية محيطية رطبة قادمة من الغرب، وأخرى جافة وحارة آتية من الشرق أيام الشركي. ويتوزع هذا المناخ إلى فصلين متباينين تتخللها فصول انتقالية سريعة وقصيرة:

- ✓ الفصل المطير: يبدأ في شهر أكتوبر وينتهي في أبريل، يتميز بانخفاض درجات الحرارة التي قد تصل إلى صفر درجة، وتزيد حدة البرودة كلما صعدنا الجبال؛
- ✓ فصل الصيف: حار لقلة المؤثرات البحرية التي تصل إلى المنطقة، ويتراوح متوسط الحرارة السنوي ما بين 24 درجة و36 درجة. (محمد الوردي، قبيلة البرانس في مواجهة الاحتلال العسكري الفرنسي دور الزعامات في قيادة القبيلة(1912-1926)، ص 35-36)

2- تدبير الأراضي عند أولاد جرو

لقد شكلت الأرض أهم الركائز التي يقوم عليها اقتصاد بني فقوس عامة، وأولاد جرو خاصة، إلا أن كيفية تدبيرها، جعلتنا نخوض غمار تجربة البحث في نمط الأراضي بها، طرق تقسيمها وإستغلالها.

2-1 أنماط الأراضي: جلها ذات ملكية خاصة

إن جل الأراضي المتواجدة بأولاد جرو لا تخرج عن نوع واحد، والمتمثل في الأراضي الخاصة، أي الأراضي المتواجدة في ملكية الأسر، حيث نجد أن كل أسرة تملك قطعة أرضية خاصة بها، فالتصرف فيها واستغلالها والاشتغال عليها بشكل دائم وبكل حرية، دليل على شرعية ملكيتها. (دراسة ميدانية، 2021)

2-2 تقسيم الأراضي: إتخذ شكلين

ناذرا ما تكون الأرض محفظة، لكن نجد أن الملكية وبشكل كبير موثقة برسوم عدلية تعود للجد الأول أو الثاني، فتقسيم الأراضي عند بني فقوس عامة وفرقة أولاد جرو خاصة، يعتمد على نظام العرف الضارب جذوره في أعماق التاريخ، ويتخذ شكلين:

- ✓ الشكل الأول: يتم تقسيم الأرض بين الورثة كعائلة وليس كفرد، حيث أن كل عائلة وريثة تأخذ نصيبها من كل البقع، وهو ما جعل الأرض تدخل مسلسل التفتيت، إلا أن هذا النوع من القسمة كان سائدا قبل أن تنقرض العائلة الموسعة وتحل محلها الأسرة النووية؛
- ✓ الشكل الثاني: يسمى قسمة "الخبزة"، حيث أن وريث يحرث قطعة أرضية بأكملها، إلا أنه ناذرا نما يتم توثيق هذه القسمة.

لكن أحيانا كانت بعض الخلافات بين الملاكين تِؤدي إلى صراعات عند بداية موسم الحرث، وفي هذه الحالة، فإن الطرف المتدخل هو الشرفاء وشيخ الفلاحين، حيث كان يتم الفصل بين القطع الأرضية والملكيات بعلامات ثابتة وخاصة نبات البروك لأنه دائم ويتجدد باستمرار مع أولى أمطار الخريف. (محمادي هرنان، النشاط الزراعي بقبيلة البرانس، الحرث: الجهد والبركة، ص 1-2)

3-2 تدبير استغلال الأراضي: جماعي وفردي

إن جل الأراضي تستغل بشكل كبير في الفلاحة، هذه الأخيرة شكلت نشاطا رئيسيا لدى الساكنة، إلا أن عملية تدبير استغلالها، اتخذت شكلين رئيسيين:

تدبير جماعي: هناك أعمال يتم تدبيرها بشكل جماعي، فبعد سقوط أولى الأمطار ، يجتمع أفراد كل دوار من فرقة أولاد جرو داخل السوق الأسبوعي، حيث يتم الاتفاق على ما يلي:

الحرث: يتم إحصاء الفلاحين الذين لا يتوفرون على زوج (مكون من بغل وبغل أو حمار وحمار)، وذلك قصد تشكيل ثنائي يعملان على حرث الأرض بالنوبة، أي توزيع الأيام بينهما طيلة موسم الحرث، حيث يساهم كل فلاح ب "الفرد" (دابة واحدة)، وفي هذه الحالة يقال "فلان كرن مع فلان فالحرث"، لكن إذا خالف أحد الفلاحين هذا الاتفاق فإن الفلاح الثاني يستفيد من الزوج بمفرده حتى انتهاء عملية الحرث؛ (دراسة ميدانية، 2021)

الدرس: يتم الاتفاق على وضع بعض الأبقار وسط كل دوار من فرقة أولاد جرو قصد مساعدة الفلاحين الذين لا يتوفرون على زوج، ففي هذه الحالة يذهب الفلاح الذي لا يتوفر على زوج إلى هذ المكان قصد أخذ دابة لإتمام عملية الدرس، لكن يشترط على هذا الفلاح التكلف بتحضير الكلأ و السهر على صحة تلك الدابة، وفي حالة وفتها لسبب من الأسباب فإن الجماعة تقوم باقتناء دابة وتعويض صاحبها، لكن غالبية الفلاحين يرفضون ذلك. (دراسة ميدانية، 2021)

تدبير فردي: في هذه الحالة، يقوم الفلاح بتدبير طريقة استغلال أرضه بنفسه، أي دون اللجوء إلى رأي الجماعة، ومن أهم هذه الأعمال تدبر بشكل فردي، نذكر ما يلي:

تعيين الخماس: أمام الحاجة ليد عاملة قادرة، كان صاحب الأرض يلجأ إلى تعيين الخماس مقابل الشوحة كتسبيق، أي مقدار من المال من 50 إلى 500 درهم تقريبا، حيث يقوم الخماس بكل الأشغال من بداية الحرث إلى لحظة توقاف التبن، وذلك مقابل الخمس من الإنتاج الزراعي؛ (محمادي هرنان، النشاط الزراعي بقبيلة البرانس، الحرث: الجهد والبركة، ص 2)

التناوب حول أدوار الحبوب والقطاني: لتفادي إرهاق التربة، يقوم الفلاح بزرع الأرض سنويا بالتناوب، ذلك أن جذور القطاني (خاصة الفول) تركز الفوسفاط في التربة، مما يجعلها أكثر خصوبة لاستقبال الحبوب في الموسم الموالي؛

التناوب بالسنوات: حيث نجد أن الفلاح يقوم بحرث الأرض في موسم فلاحي ثم يتركها خلال الموسم الموالي دون حرث، وذلك لكي تستريح وتجدد التربة طاقتها، وفي هذه الحالة يقال "جامة" أو "جايمة". (محمادي هرنان، النشاط الزراعي بقبيلة البرانس، الحرث: الجهد والبركة، ص 6)

فرغم كون التدبير هنا فردي، لكن العمل يتم أحيانا بشكل جماعي في إطار ما يسمى ب "تويزة"، فالأعمال التي يكون موضوعها "تويزة" متعددة، ولعل من أبرزها:

الحصاد: يتم البدء بحصاد الشعير لتجنب سقوط الحبوب، حيث ينطلق موسم حصاده مبكرا وذلك على مدى 15 يوما، حيث تعمل كل ثلاث عائلات بشكل جماعي، فيكون نصيب كل عائلة هو 5 أيام. ثم تأتي مرحلة القطاني (الفول والعدس)، وهنا تستعمل كلمة "التقلاع" عوض كلمة الحصاد، هذه العملية تقتصر على النساء وخاصة الفتيات التي تتراوح أعمارهن ما بين 15و35 سنة، ليأتي في الختام حصاد القمح، وهو مرحلة خاصة بالرجال، وهنا تكون "تويزة" حاضرة بشكل كبير، حيث نجد الحقل يعج بالرجال، فكل يساعد حسب قدرته وخبرته وحسب ما يتمتع به من قوه، بعضهم يستعمل المنجل لحصد السنابل، والبعض يقوم بجمع روابط الحزم، والبعض الآخر يقوم بنقلها إلى الأماكن المخصصة له. (دراسة ميدانية، 2021)

التبن: يوم تخزين محصول التبن هو بمثابة عيد عند أصحاب الدوار، فرغم أن العمل يتم بشكل جماعي على إلا أنه لا يتطلب تدبيرا محكما وغير خاضع لنظام "النوبة"، بل يتم حسب رغبة كل فلاح، ليمر كل ذلك في جو من المزيج والهزل. فحين تنهي تويزة عملها، تقيم

العائلة المستفيدة وليمة تدعوا إليها الجميع، الرجال، النساء وحتى الأطفال، ويبقى الهدف منها هو إطعام تويزة التي سهرت على عملية تخزين التبن بشكل تطوعي. (دراسة ميدانية، 2021)

وعموما، يبدأ عمل "تويزة" حين يدعوا الفلاح صاحب الحاجة الجماعة لمساعدته في العمل دون مقابل، وذلك قصد إنهاء العمل في أقرب وقت، إلا أن طريقة العمل هاته تجعل صاحب الطلب ملزم بمساعدة جميع العائلات التي شاركته عملية الحصاد أو تخزين التبن، وذلك اعتبارا لكون هذه المساعدة هي بمثابة دين يجب قضائه، لكن في حالة عدم مشاركة أحدهم في عملية تويزة، فإن الجماعة تتخذ حكما ضده، والذي يتمثل في حرمان هذا الشخص من جميع المساعدات التي تدخل في عمل "تويزة". (دراسة ميدانية، 2021)

3-2 تدبير استغلال المراعي: تدبير فردي

إن تدبير استغلال المراعي يتم بشكل فردي، ويعتبر فصل الصيف من أكثر الفصول ملائمة لعملية الرعي حيث الكلأ متواجد بكثرة، لكن عملية الاستغلال هاته، تتم بطريقتين:

- ✓ الاستغلال المباشر من طرف أصحاب الأرض؛
- ✓ الاستغلال عن طريق طلب الإذن من ملاكي الأرض.

وبالمقابل، يصبح المجال المحروث ممنوعا للرعي في فصل الربيع، وذلك تفاديا لإتلاف المحصول من طرف الماشية، وفي هذه الحالة، يصبح الفلاح مضطرا لربط الماشية داخل الإصطبلات ومدها بالعلف الذي عادة ما يتكون من الشعير، الذرة، كرسانة، والتبن. (دراسة ميدانية، 2021)

3- تدبير المياه عند أولاد جرو

يعتبر السقي من أقدم الوسائل استعمالا للمياه العذبة عبر التاريخ البشري، وبما أن البرانس تتوفر على ثروة مائية مهمة (محمد الوردي، قبيلة البرانس في مواجهة الاحتلال العسكري الفرنسي دور الزعامات في قيادة القبيلة(1912-1926)، ص 37)، فمن الطبيعي أن يستغلها سكان قبيلة بني فقوس عامة، وفرقة أولاد جرو خاصة. إلا أن عملية الاستغلال هاته، تتطلب تدبيرا محكما.

1-3 العيون: عين تلاثة مورد مائي رئيسي للساكنة

قبل الحديث عن طرق توزيع المياه وكيفية استغلالها، لا بد من القيام بجرد أهم الإمكانات المائية التي يختزنها مجال دراستنا.

الجدول رقم (1):توزيع العيون بأولاد جرو

إسم العين	نوع الصبيب

عين تلاثة	دائم

المصدر: دراسة ميدانية، 2021

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (1) أن مجال أولاد جرو، يمتلك عين وحيدة وهي: عين تلاثة، وهي ذات صبيب دائم.

إن هذه العين جعلت من أولاد جرو منطقة استراتيجية تنتابها الصراعات المتكررة، بين أفراد دوار عين تلاثة من جهة، وبين فرقة أولاد جرو من جهة أخرى، ولقد فرض هذا الوضع غير المستقر على سكان الدوار، اعتماد أعراف من أجل تدبير هذه الموارد المائية واستغلالها في السقي. (دراسة ميدانية، 2021)

إن حفاض أهل دوار عين تلاثة على أعراف أجدادهم في تقسيم مياه هذه العين بينهم، والالتزام بتلك "القوانين" المتوارثة والتي أصبحت حجر الزاوية في التعامل فيما بينهم وعنصر استقرار السكان، جعلنا نقوم بدراستها.

3-2 عين التلاثة رصد وتتبع

قبل سنة 1960، كان يتم جلب المياه من عين التلاثة بطريقة تقليدية، وذلك عبر مسارات تحفر في الأرض (الساقية)، حيث يعمل الفلاحون على جمع تلك المياه والاستفادة منها قدر الإمكان، وذلك بسد الثغرات بالطين. إلا أن هذه الطريقة لم تحفظ المياه من الهدر والتسرب وتجعلها تنساب إلى قصدها بكل سلاسة.

لقد زادت ظروف العمل الصعبة تلك، من المشاكل المطروحة بصدد الاستغلال، فالهدر لم يطل المياء فقط، بل العامل الزمني أيضا، حيث تزداد مدة السقي عند كل فلاح، وهو الأمر الذي كان يؤدي إلى نشوب بعض الصراعات في هذا الشأن، سيما وأن مياه العين تستعمل في الحاجيات المنزلية اليومية كذلك، كما تشتد الحاجة إليها في فصل الصيف، حيث تؤثر الحرارة بشكل كبير سواء على الإنسان أو المزروعات، لأن ارتفاعها يؤدي إلى زيادة الطلب على هذه المياه. (دراسة ميدانية، 2021)

3-3 توزيع وتدبير مياه عين تلاثة: يعتمد نظام العرف

يعتمد توزيع مياه عين التلاثة على العرف، هذا الأخير يحددحقوق وواجبات يتعارف عليها ويلتزم بها جميع أفراد الدوار، فحق الفرد من المياه مرتبط بالأرض، حيث أن الاستفادة من مياه هذه العين يتطلب امتلاك قطعة أرضية. وبناء عليه، فإن طريقة توزيع مياه هذه العين مبنية على تحديد عدد أيام السقي لكل فخدة من الفخدات، وذلك في إطار ما يسمى بـ"النوبة" أي الدور. إلا أن عملية التدبير تتم بطريقة جماعية، فعلى رأس كل شهرين كحد

أقصى وبعد صلاة العصر، يجتمع أفراد الدوار للقيام بعملية القرعة أو "العود" لتحديد الترتيب الأسبوعي للفخدات المستفيدة من الماء، وهو دور قار. (دراسة ميدانية، 2021)

تتوزع حقوق المياه عند الساكنة، كما يلي:

الجدول رقم (2):توزيع مياه عين التلاثة بين عائلات دوار عين تلاثة بالنوبة

العائلات	الأيام
المراحي	من الثلاثاء 5 فبراير على 7 صباحا إلى الثلاثاء 12 فبراير على 7 ليلا
بودومة	من الثلاثاء 12 فبراير على 7 ليلا إلى الثلاثاء 19 فبراير على 7 ليلا
التغوتي	من الثلاثاء 19 فبراير على 7 ليلا إلى الثلاثاء 26 فبراير على 7 ليلا
قشار	من الثلاثاء 26 فبراير على 7 ليلا إلى الثلاثاء 5 مارس على 7 ليلا
البرنوسي	من الثلاثاء 5 مارس على 7 ليلا إلى الثلاثاء 12 مارس على 7 ليلا
بخشوش	من الثلاثاء 12 مارس على 7 ليلا إلى الثلاثاء 19 مارس على 7 ليلا
السلمي	من الثلاثاء 19 مارس على 7 ليلا إلى الثلاثاء 26 مارس على 7 ليلا

المصدر: دراسة ميدانية، 2021

يتبين لنا من خلال الجدول رقم (2) أن مياه عين التلاثة يتم تقسيمها اعتمادا على ما يسمى ب "النوبة" بين عائلات دوار عين تلاثة، وذلك بشكل متساوي، أي مدة أسبوع لكل عائلة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن حقوق استغلال مياه هذه العين، لا يطرح أي مشكل نهائيا، فكل عائلة مستفيدة تعرف حقوقها.

أما فيما يخص صيانة المنبع والسواقي التي تنبع من هذه العين، فتتم بشكل جماعي، حيث يشترك جميع المستفيدين في هذا العمل بدون استثناء، وذلك في إطار ما يسمى بـ" التويزة". (دراسة ميدانية، 2021)

4- التحولات الطارئة على مستوى تدبير الأراضي والمياه

كون المياه مورد أساسي يجب المحافظة عليه، جعل نظام العرف في عملية تدبيره بدوار عين تلاثة، لا زال مستمرا لحدود الساعة، هذا على عكس الأراضي التي عرفت مجموعة من التحولات على مستوى تدبيرها، فنتيجة عملية الهجرة التي أصبحت هاجس العديد من الشباب، أصبحت الفلاحة التي تعد ركيزة أساسية في اقتصاد المنطقة، تقتصر على كبار السن،

وهو ما دفع بهؤلاء إلى الاستغناء عن بعض الطرق التقليدية واعتماد طرق حديثة، ومن أهم العمليات التي شهدها هذا التغير، نذكر ما يلي:

الحصاد: داخل كل دوار من فرقة أولاد جرو، يقوم الفلاحون بعقد مجلس في النادر/البيدر (المكان الذي تقام به عملية الدرس)، وذلك قصد الاتفاق على استدعاء "تويزة" من الأسواق الأسبوعية من أجل مشاركتهم عملية الحصاد، حيث يتم تحديد عدد الأشخاص المراد استدعائهم بالنسبة لكل فلاح، فطلب عدد كبير من الأشخاص جملة واحدة يجعل "تويزة" تخفض ثمن الخدمة، لأن هذه العملية ليست تطوعية، بل تتم مقابل مبلغ مالي وصل سنة 2018 إلى 150 درهم للشخص الواحد في اليوم.

الدرس: حاليا ومع ظهور الآلة، أصبح معظم سكان دواوير فرقة أولاد جرو يعمدون إلى الدرس بها، حيث يجتمع الفلاحون داخل كل دوار في المسجد بعد صلاة العصر قصد الاتفاق على اليوم الذي سيتم فيه جلب الآلة التي عادة ما تكون متواجدة بالأسواق الأسبوعية، فبعد تحديد اليوم يتم تحديد "النوبة"، هذه الأخيرة تعتمد على معيار محدد يتجلى في كون المستفيد الأول هو صاحب البيدر المتواجد في مدخل الدوار، ثم الثاني الذي يتواجد بعده، وهكذا تبدأ الآلة بعملية الدرس عبر مسار ينطلق من مدخل الدوار إلى نهايته، وذلك مقابل مبلغ مالي وصل سنة 2018 إلى 200 درهم للساعة الواحدة، ونظرا لكون التكلفة مرتفعة يقتصر الفلاحون على استعمال هذه الآلة بالنسبة للقمح فقط، ذلك أن هذا الأخير يشكل حوالي 80 بالمائة من مجموع الأراضي داخل هذه الفرقة. (دراسة ميدانية، 2021)

الخلاصة

ختاما، يمكن القول بأن أعراف بني فقوس عامة، وفرقة أولاد جرو خاصة، لم تقيد تدبير المجال، بل على العكس من ذلك، حيث نجد أن التخلي عن بعض هذه الأعراف وخاصة فيما يتعلق بالأحكام، أدى إلى اعتماد تقنيات حديثة فيما يخص تدبير الأراضي، إلا أن ارتفاع تكاليف هذه التقنيات نتج عنه تقليص المساحات المحروثة، ونذكر على سبيل المثال عائلة "ح. م " التي تراجعت المساحة المحروثة لديها من 3 هكتارات سنة 1930 إلى حوالي هكتارين سنة 2021، في حين تراجع عدد القطيع من 200 رأس سنة 1930 إلى 40 رأس سنة 2021، (دراسة ميدانية، 2021) فهذا التراجع السلبي يفسر بأن معظم هذه التحولات لم تستجب لمستوى التنمية. وبالمقابل، نجد أن هذه الأعراف لا زالت مستمرة فيما يخص تدبير مياه عين التلاثة، وذلك اعتبارا لكون هذه الأخيرة مورد أساسي للساكنة والذي يجب المحافظة عليه.

توصية

إن التحولات العميقة التي طرأت على مستوى تدبير الأراضي بفرقة أولاد جرو والتي ساهمت في تفكيك بعض الأعراف واندثارها، جعلنا نوصي بأنه يجب أن تكون هنالك إلتفاتة لدراسة هذا الإرث الذي شكل أساس التنظيم المجالي للفرقة.

قائمة المصادر والمراجع

1. امحمد العسري (2017): "البرانس (الأصل)، ألفاظ من قاموس الإنسان والمكان: مقاربة أنطولوجية"، على الرابط الإلكتروني: https:// Branestaza.ma أبحاث ودراسات، page 2، ص 4.
2. دراسة ميدانية، 2021.
3. عبد الرحمان المودن (1995): "البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر"، الدار التونسية للنشر، تونس: ص 29.
4. محمادي هرنان (2016): "النشاط الزراعي بقبيلة البرانس، الحرث: الجهد والبركة"، على الرابط الإلكتروني https:// Branestaza.ma أبحاث ودراسات، page 3، ص 1-2-6.
5. محمد الوردي (2016): "قبيلة البرانس في مواجهة الاحتلال العسكري الفرنسي: دور الزعامات في قيادة القبيلة (1912-1926)"، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ص 28-35-36-37.
6. محمد الوردي (2020): "معارك قبيلة البرانس ضد الاحتلال الفرنسي ما بين 1915 و1925"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد الخامس، ص 67-68 .